الجزء الثالث

السياقات

الفصل 7

الحقوق المدنية والسياسة المحلية

أماندا د. كلارك وباتريك جي. كوي Amanda D. Clark and Patrick G. Coy[1]

اختلف الناس حول السياسة والسياسات طيلة قرون، وشنُّوا نزاعات في ما بينهم بهدف تعزيز الهياكل والسياسات المفضلة لديهم، المسائل بالنسبة لهذا الكتاب وهذا الفصل هي الوسائل التي تم اختيارها لتعزيز تلك الأهداف، فالحركات التي تستخدم العنف لإحداث تغيير غالبًا ما تنظر إلى النزاع على أساس (نحن ضد هؤلاء)، وثمة مجال ضئيل للتوصل إلى حل وسط أو قبول للأفكار المتضاربة، وغالبًا ما ينشأ جفاء شديد بين الأطراف، بغض النظر عمَّن ينتصر، إلا أن هناك طرقًا حيوية أخرى لإحداث تغيير اجتماعي وسياسي.

لقد جلب القرن العشرين زيادة في استخدام أساليب تؤثر في تغيير الأنظمة الثورية وإصلاح الأنظمة القائمةأيضًا، وأحد المزايا العديدة التي قدمتها أعمال اللاعنف في أي حملة تغيير هي أن الخصم لم يتحول إلى (آخر) مهزوم، وحسب ما سنرى في هذا الفصل، فإن هذا النهج مهم في النزاعات السياسية المحلية، حيث إنه لم يزل على الأحزاب المتناحرة أن تعمل معًا في المجتمع نفسه بعد مدة طويلة من إنهاء الحملة و(حل) النزاع، حملات اللاعنف ترفض نهج التقسيم الثنائي إما كذا/ أو، ونحن/ هم التي تجسد الخصم، وبدلًا من ذلك يصوغ القائمون بالحملة القضية على أنها مشكلة مشتركة تواجه مجتمعهم ويسعون لخلق شعور جماعي هو (نحن)، وخلال إبرازهم للممارسات غير العادلة والظالمة التي تعيق حركة مجتمعهم، فإن جميع هذه الأساليب مبينة بشكل حسن في حركة اللاعنف التي تحدت وغيرت سياسات التمييز العنصري وممارساته في ناشفيل، تينسي، في الولايات المتحدة عام 1960.

في الولايات المتحدة الأمريكية في الخمسينيات، كان التمييز العنصري بين البيض والسود هو القانون الرسمي وغير الرسمي في البلد، لكن ذلك الطراز الأمريكي من التمييز العنصري - المعروف باسم (نظام جيم كرو)- كان على وشك أن يتغير، وإن يكن ذلك على مضض، وعدد من الأحداث الرئيسة، منها مقاطعة الحافلات في باتون روج، لويزيانا (1953) Baton Rouge, Louisiana (1953)، وقرار المحكمة العليا في قضية (براون ضد مجلس التعليم) التي أنهت التمييز العنصري في المدارس العامة (1954)، ومقاطعة الحافلات في مونتجمري، ألاباما (1955– 6) Alabama (1955–6)، وتدخل الرئيس أيزنهاور في دمج مدرسة ثانوية في ليتل روك، أركنساس (1957) Arkansas (1957)، أثبتت جميعها أن الوقت قد حان لمحاربة عدم المساواة، ونجاح مقاطعة الحافلات بيَّنت أن تقنيات اللاعنف التي استخدمها أتباع غاندي للحصول على استقلال الهند في العام 1948 يمكن أن ينجح أيضًا في الجنوب الأمريكي.

وفي شتاء 1959–1960، أصبحت ناشفيل Nashville، تينسي Tennessee، منعطفًا مهمًّا في الطريق نحو الحقوق المدنية، وذلك حين شنَّ طلاب جامعيون اعتصامًا على مناضد طعام تتبع نظام التمييز العنصري بين البيض والسود في أحد المتاجر الكبرى وسط المدينة، ورغم أن تلك المتاجر كانت تسمح للزبائن السود بالتسوق، فقد كان السود مجبرين على استخدام حمامات منفصلة ولا يسمح لهم بتناول الطعام في مطاعم المتجر، فالإهانات المستمرة التي كانت ترافق التمييز العنصري ساعدت هؤلاء الطلاب على اتخاذ قرار بأن الوقت قد حان للمقاومة بفاعلية، وقد وصف جيمس بيفل – 19 عامًا– الأمر قائلًا : «لقد قرفت ومرضت من الانتظار» (موريس 1984، ص 206) (Morris 1984, p. 206).

كان الاقتصاد أحد المكونات المهمة التي دعت للتركيز المنضبط على أعمال اللاعنف، ولم يكن في وسع قطاعات الأعمال التي تعتمد على المستهلكين السود تحمُّل انقطاع سير الأعمال اليومي أو المقاطعة طويلة الأمد، وسيتضح في دراسة الحالة الآتية كيف كان النجاح في ناشفيل يعتمد على التركيز المنضبط على الأبعاد السياسية، والاجتماعية،و الاقتصادية

لأعمال اللاعنف، كما وفرت القضية فرصة لاختبار الخطوات المتضمنة في حملة غير عنيفة، وسوف نطبق بشكل خاص مصفوفة تطور الصراع لآدم كورل بوصفها إطار عمل لتحليل حملة ناشفيل.

الخلفية

خلال الشهور الأولى من العام 1960، بدأت بوادر اعتصامات ذات علاقة بالمقاومة غير العنيفة للتمييز العنصري تجتاح الجنوب، وتعد اعتصامات ناشفيل من أوائل الأمثلة على التنظيم، والتنفيذ المنضبط، والتقيُّد الصارم بمبادئ أعمال اللاعنف الضرورية لتحقيق النتيجة المطلوبة، وهي تغيير السياسات. إن حملة العمل في ناشفيل كانت إستراتيجية تطلَّبت أشهرًا من تعلم أساليب اللاعنف، والتعرُّف إلى الأهداف، والاعتصامات التجريبية، وكانت مهمة للحركة لأسباب عديدة؛ أولها أنها لم تكن تُقاد من قبل مارتن لوثر كينج، الابن، وأثبت بالتالي أن في وسع آخرين يتبعون مبادئ أعمال اللاعنف نفسها أن ينجحوا من دون مساعدة من قوة اسم مشهور والموارد التي قد تأتي معها، وثانيها أن الطلاب المشاركين أصبحوا قادة مهمين في حركة الحقوق المدنية في سنوات عديدة تالية.

لقد وفرت ناشفيل موقعًا مميزًا لمعركة الحقوق المدنية، ورغم أن التمييز العنصري كان حقيقة الحياة اليومية في المدينة، فلم يكن يجري من منطلق «حماس مسؤولين عنصريين غاضبين، بل هو نتاج مخلفات ثقافية من الماضي» (هالبرستام 1998، ص.110) (Halberstam 1998, p. 110). وسكان المدينة البيض الذين أطلقوا على أنفسهم (أثينيو) نسبة إلى أثينا الجنوب، كانوا يعتقدون أنهم عقلانيون وتقدميون، وكان رئيس البلدية بن ويست رجلًا معتدلًا، زاد عدد السود في الشرطة ودوائر الإطفاء، وساعد على دمج المطاعم في مطار ناشفيل، وكانت (ناشفيل تنيسيان) صحيفة ليبرالية تغطي على الدوام قضايا الحقوق المدنية ودعمت وضع حدٍّ لضريبة الرأس التمييزية، الأمر غير العادي بالنسبة لذلك الحين،

وجود ممثلين من السود في مجلس المدينة، وكان في المدينة مجموعة كبيرة من النخبة المثقفة من السود (اكرمان ودوفال 2000) (Ackerman & Duvall 2000).

رغم اعتماد هذه القضية على نشاط طلابي في مواجهة تناقضات مروعة، فقد كان للكثيرين من البالغين دور حاسم في نجاح اعتصامات ناشفيل، فقد تلقَّى الطلاب تدريبًا لشهور عديدة على أعمال اللاعنف على يد الأب جيمس لوسن الابن، وهو من الرافضين بدافع ضميري، سُجِنَ مدة (11) شهرًا لرفضه التطوع للخدمة العسكرية خلال الحرب الكورية، ثم حصل على إطلاق سراح مشروط للعمل مع إرسالية ميثودية، وقضى ثلاث سنوات في الهند، حيث تعلم عن غاندي واللاعنف، وبعد العودة إلى الولايات المتحدة التحق ببرنامج للحصول على درجة الماجستير في اللاهوت في أوبرلين كوليدج في أوهايو، حيث قابل كينج في مناسبة خطابية، فأعجب كينج بمعارف لوسن عن اللاعنف وحثه على الانتقال إلى الجنوب على الفور للترويج للتغيير من خلال اللاعنف، ثم وظَّفته مجموعة (زمالة المصالحة) بمنصب (أمين عام ميداني) جنوبي لتعزيز العدالة العرقية من خلال أعمال اللاعنف، ثم ذهب لوسن إلى ناشفيل والتحق بمدرسة اللاهوت في جامعة فاندربيلت.

وفي العام 1958 عقد لوسن ورش عمل حول اللاعنف في الطابق الأرضي من كنيسة يرعاها الأب كيلي ميلر سميث، الذي كان قد أنشأ (مجلس ناشفيل للقيادة المسيحية) (NCLC) في وقت سابق من ذلك العام، وإن قبول سميث للوسن في الجمعية أعطى رسالته عن قوة المقاومة اللاعنيفة المزيد من المصداقية على الفور (هالبرستام 1998) (Halberstam 1998). كما أعطى استخدام الكنيسة حركة الاعتصامات قناة اتصالات مدمجة وقاعدة دعم في المجتمع، وهو دور جماعي أدته بوضوح كنائس السود من خلال حركة الحقوق المدنية كلها.

كانت غالبية المشاركين في ورش عمل لوسن المبكرة من البالغين السود، وبعد أن علم الناس عن حركة المقاومة غير العنيفة، ناقشوا كيفية التقدم بطلب للانتساب إليها في بيئة ناشفيل، وكانت الأمهات هُنَّ من وفَّرْنَ الهدف:

أخبروا كيف أنَّـهُنَّ وأطفالهُنَّ – أثناء التسوق وسط المدينة– يَكُنَّ متعبات ولا يَجِدْنَ مكانًا يتوقفْنَ فيه سوى الجلوس في الشارع، وتحدَّثْنَ عن مدى الألم في أن يتواجدْنَ في طابق ملابس الأطفال في متجر هارفي؛ حيث يوجد قرص كبير دوَّار للعب الأطفال، بينما الأمهات يتناولْنَ القهوة، وتحدَّثْنَ عن إخبار أولادهِنَّ أنهم لا يستطيعون اللعب هناك وهم يرون أطفالًا آخرين يلعبون عليه، ونتيجة لتلك الأوصاف، عرفت عند نهاية ورش العمل تلك بأنه ينبغي علينا الذهاب إلى وسط المدينة، وأن ننزع تلك اليافطات، وأن نبدأ بالمطاعم ومناضد الغداء (لوسن، استشهد به لي 2010، ص 134) (Lawson, cited in Lee 2010, p. 134).

كانت مناضد الغداء أهدافًا إستراتيجية لهدف إستراتيجي أكبر؛ حيث إنه كان ينظر إليها بوصفها (إسفين افتتاح) (ايزاك وآخرون 2012، ص167) (Isaac et al. 2012, p. 167)، والواقع أنها كانت أهدافًا سهلةً وعُرضةً للاقتحام، ما يجعل من الممكن تعرية نظام جيم كرو كله، وقد كانت مناضد الطعام نقطة انطلاق جيدة لأسباب عديدة، فقد يحصل الطلاب المحتجون على دعم ومساندة النساء السود الكبيرات في المجتمع؛ نظرًا لأهمية متاجر وسط البلد ومناضد الغداء بالنسبة للأمهات في ورش العمل، وتحدثت دوليس ويلكنسون عن زياراتها لمتاجر وسط المدينة وألمها وشعورها بالمهانة؛ لاضطرارها إلى أن تكذب على أطفالها وتقول إنها على عجلة من أمرها ولا تستطيع تناول الطعام هناك بعد التسوق، وقالت أم سوداء أخرى إنه حين صعد ابنها إلى مقعد عالٍ جانب المنضدة، أمرها كاتب قائلًا : «أنزلي ذلك الطفل الزنجي عن ذلك المقعد» (ليمبو 2006، ص. 165) (Limbo 2006, p. 165). أمثال هذه الإهانات المتكررة جعلت نساء ناشفيل السود حلفاء طبيعيين للطلاب الناشطين، فكانت مناضد الغداء أهدافًا رفيعة وموضع تركيز أيضًا، وكانت موضوعة داخل متاجر تخدم بالفعل المجتمع الأهلي للسود، فكيف يمكن لمالك متجر أن يأخذ نقودًا ثمنًا لبضائع بيعت في المتجر، بينما يرفض بيع شطيرة هامبرجر ثمنها (25) سنتًا للزبون نفسه؟ فكان في وسع الكثيرين من البيض أن يروا مدى سخافة هذا الظلم.

أمكن لحشد الطلاب أن يشكل إستراتيجية فاعلة لعمل غير عنيف؛ لأنه غالبًا ما يكون للطلاب جداول مواعيد مرنة، وليس لمعظمهم أُسَرٌ يُعيلونها، والكثيرون منهم مستعدون

للمخاطرة في سبيل إحداث تغيير في المجتمع (موريس 1981) (Morris 1981)، ففي خريف العام 1958، نقل لوسن ورش عمله للتدريب على اللاعنف إلى كنيسة قريبة من جامعة فيسك وبدأ في تجنيد الطلاب، وحيث إن منطقة ناشفيل منطقة تضم أربع كليات للسود (جامعة فيسك، وكلية ولاية تينسي الجامعية، ومعهد اللاهوت المعمداني الأمريكي، وكلية ميهاري الطبية)، فقد توافر فيها تجمع جاهز للتجنيد، وكان في المدينة أيضًا عدد كبير من خريجي الجامعات السود، أنشؤوا «طبقة متوسطة جديدة مستنيرة من السود» (هالبرستام 1998، ص 109) (Halberstam 1998, p. 109)، وثبت في ما بعد أن حشد هذه الجماعة (المستنيرة) كان أساسيًّا خلال ذروة الاعتصامات، وكان ذلك ممكنًا بسبب التعاون المبكر بين الكبار والطلاب في التعرُّف إلى الأهداف المشتركة، فتجنَّبوا بذلك المنافسة و(حروب الصلاحيات) التي أفسدت حملات الاعتصامات في المدن الأخرى.

كانت ديان ناش طالبة مستجدة في جامعة فيسك في العام 1959، نشأت في شيكاجو ولم تختبر قط التمييز العنصري العلني في الجنوب، إلا أن ما واجهته -بوصفها طالبة في ناشفيل Nashville- سرعان ما دفعها إلى ورش العمل؛ لأنها «شعرت بأنها مخنوقة ومحاصرة لأن الكثير من مناطق العيش كان محظورًا على السود» (كارسون 1981، ص21) (Carson 1981, p. 21). أما جيمس بيفل (James Bevel)، وبرنارد لافاييت (Bernard LaFayette)، وجيمس لويس (James Lewis) فكانوا طلابًا في معهد اللاهوت المعمداني الأمريكي، وجميعهم ولدوا في الجنوب وكانوا توَّاقين للتغيير، تلك المجموعة من الطلبة أصبحت في ما بعد تضم القيادات الإستراتيجية لحركة الحقوق المدنية، وشاركوا في الاعتصامات في مناطق الجنوب كافة، وفي مسيرات الحرية، والزحف إلى واشنطن، إلا أنهم في خريف العام 1959، كانت لهم أهداف محددة في وسط ناشفيل، وبدؤوا في وضع إستراتيجية لإزالة التمييز عن مناضد الغداء.

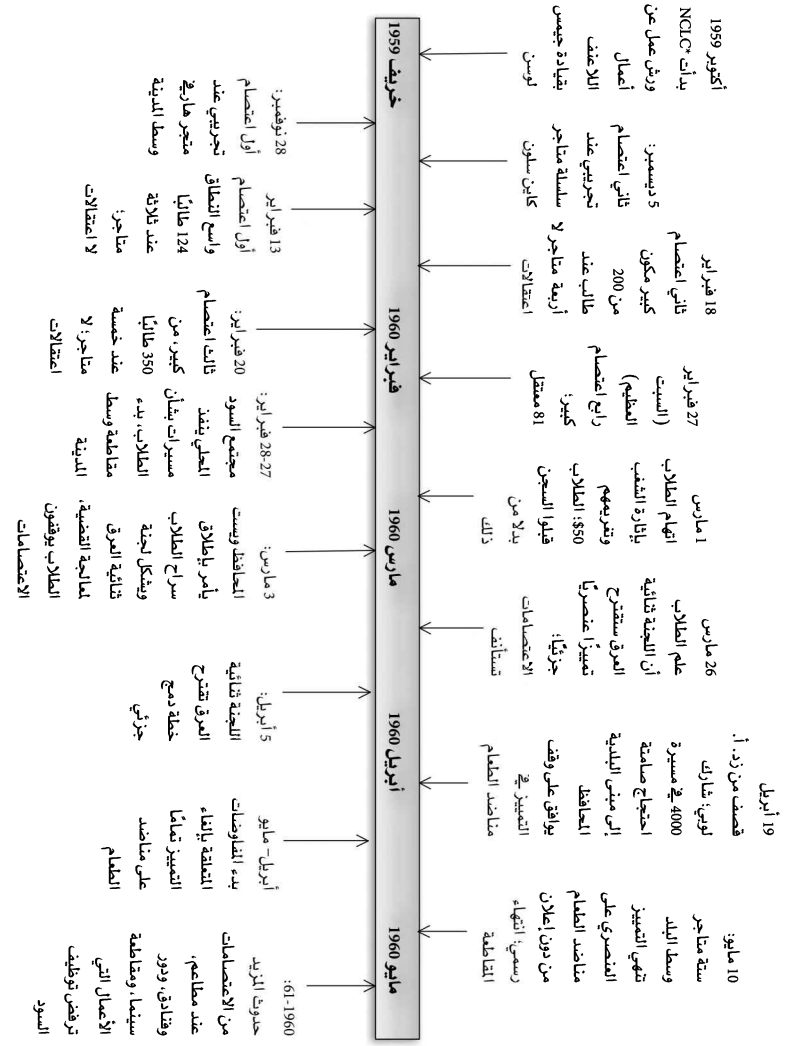

الشكل 1.7 الخط الزمني لاعتصامات طلاب ناشفيل

ملاحظات: NCLC: «مجلس ناشفيل للقيادة المسيحية»

زد. أ. لوبي (Looby): محام أميركي أسود بارز من ناشفيل

الفعاليات وأشكال القوة

ينبغي على المشاركين في أعمال اللاعنف التعرُّف إلى (أعمدة الدعم)، سواء تلك التي تدعم مجموعتهم أو تدعم خصومهم، وركزت البحوث المبكرة على نظام الدعم الذي يحافظ على موقف ممارسي الاضطهاد، إلا أنه في هذه الحالة توافرت فرصة لتطبيق المفهوم على الدعم الذي تحتاجه المعارضة، وأعمدة الدعم هي المؤسسات والمنظمات التي تشكل مصدر قوة لأي من الطرفين، وإضعاف أعمدة الدعم لأحد المتخاصمين يؤدي إلى تآكل قوته وقد يتسبب في انهيار الوضع القائم (هيلفي 2004، ص8) (Helvey 2004, p. 8). من جهة أخرى فإن تقوية أحد الأطراف للعلاقات مع الأعمدة التي تدعمه تزيد من نفوذه وقدرته على العمل بفاعلية، ولذلك استغلَّ لوسن ومجموعته من الناشطين غير العنيفين عددًا من أعمدة الدعم في قتالهم ضد التمييز العنصري، بما في ذلك تجمع كليات السود في ناشفيل وما حولها، والمؤسسات الدينية المحلية والوطنية، والمتعاطفون البيض النافذون، ومجتمع السود الكبار في ناشفيل، والتدريب على أعمال اللاعنف الذي قدمته مجموعة حركات الحقوق المدنية والسلام الراسخة، والوجود الإعلامي المتعاطف مثل صحيفة (ناشفيل تينسيان) (Nashville Tennessean)، وفي ما بعد تغطية إعلامية وطنية (انظر الشكل 2.7).

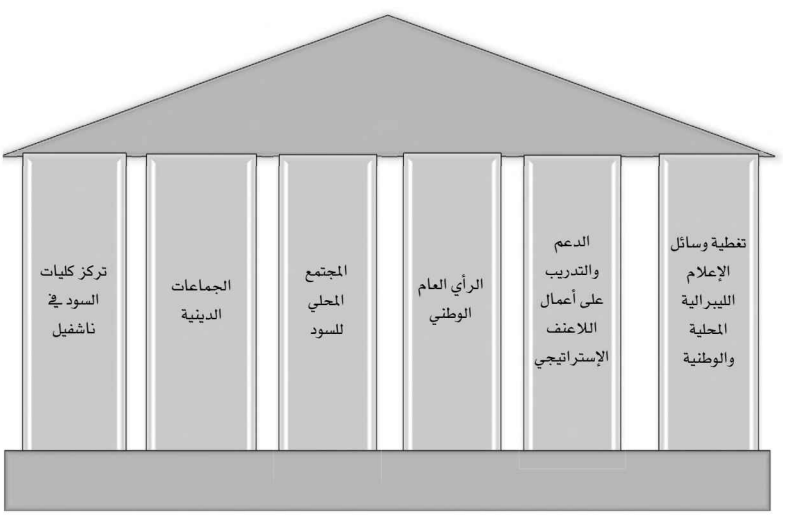

الشكل 2.7 أعمدة الدعم لحركة ناشفيل للاعنف

نجحت أكبر حركات الحقوق المدنية جزئيًّا بفضل سلطة كنائس السود ونفوذها، فلم يكن للمجتمع المحلي الأسود الكثير من النفوذ في مراكز السلطة التقليدية مثل الشرطة، والحكم المحلي، وجمعيات الأعمال والتجارة، فوفرت كنائس السود التنظيم، والإدارة المالية، والمهارات القيادية التي كان البيض يستمدونها من مثل تلك المصادر (موريس 1984) (Morris 1984)، وحظيت الحركة الطلابية بدعم كبير من المجتمع الديني في ناشفيل، سواء منه الأبيض أو الأسود، ومثال ذلك أن الكنيسة المعمدانية الأولى التي كان يقودها الأب سميث (Smith)، قامت إضافة إلى استضافة ورش عمل لوسن، بالوصول إلى المصلين ومجتمع السود الأوسع؛ لزيادة الوعي بحملة الاعتصامات وجمع التبرعات لدفع الكفالات في حال الاعتقال.

كان ويل كامبل Will Campbell – وهو قِسٌّ أبيضُ معمدانيٌّ– يعمل مع المجلس الوطني للكنائس، وكان مؤيدًا قويًّا للأب سميث وجيمس لوسن (Smith & James Lawson)، فأصبحت علاقاته مع أفراد المجتمع الأبيض البارزين في ناشفيل بالغة الأهمية خلال ذروة حركة الاعتصامات، إضافة إلى ذلك كتب الصحفي الأبيض الشاب جون سيجنثالر من صحيفة (التنيسيان) (Tennesean) العديد من المقالات التي تشرح جوانب الظلم المحيط برد فعل البيض على الاعتصامات، مثيرًا انتباه وسائل الإعلام الإقليمية والوطنية، ومؤثرًا في خيارات بعض البيض المقيمين في ناشفيل، ومثال ذلك أنه في ذروة مقاطعة المجتمع الأسود للتسوق من منطقة وسط المدينة، قام العديد من النساء البيض المتسوقات بإعادة بطاقات الائتمان للتسوق من المتاجر احتجاجا على موقف أصحاب المتاجر تجاه الوضع (لويس ودي أورسو 1998) (Lewis & D'Orso 1998).

إن تعبئة مجتمع السود الكبار أصبحت جزءًا مُكمِّلًا لنجاح الاعتصامات أيضًا، وقد دأب سميث على تسمية طلاب الجامعة في خطبه ولقاءاته (الأطفال)؛ بوصفه لفظًا للتحبب – حسب رأيه– وطريقة لإبراز دورهم المهم في المجتمع، رغم أن الكثيرين منهم نشؤوا في أماكن أخرى، كان سميث يريد تذكير رعية أبرشيته بأن هناك شبانًا يتحملون المخاطر من

أجل المجتمع الأسود كله في ناشفيل، ولهذا فهم يستحقون دعمهم وحمايتهم، هذا التشبيه المنتظم لهؤلاء الطلاب (بالأطفال) أعطى الكبار حافزًا لدعمهم وزرع فيهم تصورًا بأنهم مثل أبنائهم بالضبط، ومثال ذلك أنه في النهاية عندما انقضَّت الشرطة على الطلاب خلال الاعتصام الثالث وقامت بحركة اعتقالات واسعة، وحَّد الكبار صفوفهم خلف الطلاب الذين كانوا بالنسبة إليهم كأفراد أسرهم، فقال سميث وقتها إنه: «لم يَـرَ المجتمع الأسود موحَّدًا إلى هذا الحد» (هالبرستام 1998، ص177) (Halberstam 1998, p. 177).

تكونت حركة ناشفيل للاعنف من مجموعتين فرعيتين؛ اللجنة المركزية للطلاب، ومجلس ناشفيل للقيادة المسيحية، وكانت اللجنة المركزية تدير الاعتصامات، بينما يهتم المجلس بالدعم المالي واللوجستي ضمن المجتمع الأوسع، وكانت مجموعات عمل مجلس ناشفيل للقيادة المسيحية تشارك في رسم شارات الاعتراض وتسلم التبرعات التي تجمعها، وكان المحامون السود المحليون – ومن ضمنهم زد. الكسندر لوبي– يعرضون خدماتهم على الطلاب المعتقلين، أما المدرسون والطلاب من كلية ميهاري الطبية فكانوا يقدمون رعاية طبية للمصابين خلال الاعتصامات (موريس 1981) (Morris 1981)، بدأ مجتمع السود الكبار أيضًا بمقاطعة منطقة التسوق وسط المدينة بعد تمخُّض الاعتصام الثالث عن اعتقالات جماعية للطلاب السود المسالمين من دون اعتقال أي من المهاجمين البيض (ستتم مناقشة المقاطعة بتفصيل أوسع في الفقرات الآتية)، ثم نشرت محطات الإذاعة، والقساوسة، ومجموعات نسائية أخبار المقاطعة بسرعة، ووصلت بعد مدة وجيزة إلى مشاركة شبه كاملة من المجتمع الأسود المحلي.

كان تركيز الطلاب على البقاء غير عنيفين مصدرًا مهمًّا للقوة بالنسبة إليهم أيضًا، فقد تعلموا خلال مدة تدريبهم أن يحافظوا على دماثتهم، وألا يردوا على الاعتداء حتى لو تعرضوا للهجوم، فلم يقاوموا الاعتقال بل ساروا بهدوء وكبرياء إلى السجن ورفضوا دفع المخالفات، واختاروا بدلًا من ذلك الخدمة مدة محددة في إصلاحيات المقاطعة، وإن صور

ألمع الطلاب السود في ناشفيل وهم يعتقلون من دون وجه حق؛ لأنهم أرادوا تناول وجبة بسيطة على مناضد المتاجر، زادت من الضغط على السلطات.

وقد أدت وسائل الإعلام - بوجه خاص- دورًا مهمًّا في ناشفيل بالنسبة لكلا طرفي النزاع، وإن أهم صحيفتين في المدينة (ناشفيل تينسيان) Nashville Tennessean و(ذي بانر) (The Banner)، كانت الأولى الصحيفة الأكثر ليبرالية، لديها تاريخ من تأييد القضايا الليبرالية، مثل إلغاء ضريبة الرأس، ولديها قاعدة كبيرة من القُرَّاء في المجتمع المحلي الأسود، اتَّخذ المحافظ ويست مواقف ليبرالية تجاه العلاقات العنصرية، إضافة إلى مساعدته على دمج مطعم المطار، فقد دعم قانونًا يسمح بانتخاب أعضاء المجلس من قبل المُقيِّمين المحليين خلال خدمته بمنصب سيناتور عن الولاية، ومكَّن بذلك من انتخاب أعضاء سود لمجلس المدينة، إلا أنه على الرغم من التوجهات المتشابهة بالنسبة إلى القضايا العرقية، وبسبب تاريخ طويل من العداء حول نتائج الانتخابات، فقد كان المحافظ ويست وصحيفة (التينسيان) يكرهان بعضهما (هالبرستام 1998، ص 113) (Halberstam 1998, p. 113)، وقد دفع هذا الخلاف المحافظ إلى الاعتماد على مؤيد التمييز العنصري جيمي ستالمان وصحيفته (ذي بانر) (The Banner)؛ للحصول على دعم سياسي، لكنَّ ارتباط ستالمان بالمحافظين تسبب في جعل العمدة يغير أساليبه في التعامل مع الطلاب، وإطالة العملية لمدة أطول، إلا أن أعمدة الدعم امتدت إلى مناطق أبعد من ناشفيل، ثم بدأ الضغط الوطني - بما في ذلك برقية من السيدة الأمريكية الأولى إليانور روزفلت- يُلقي بثقله على المحافظ ردًّا على معاملة الطلاب (اكرمان ودوفال 2000) (Ackerman & Duvall 2000).

مراحل الصراع غير العنيف

تعد قضية اعتصامات طلاب ناشفيل مثالًا جيدًا لطريقة استخدام أعمال اللاعنف؛ لإزاحة ظلم أثقل على الناس مدة طويلة وحرَّك صراعًا كامنًا من الخلف إلى المقدمة، دافعًا الوضع إلى الغليان وفي النهاية جاعلًا من المستحيل على أفراد المجتمع تجاهل الظلم

أو الإذعان له، وفي خِضَمِّ هذه العملية يمكن لحملة اللاعنف أن تعيد توزيع السلطات في المجتمع، وأن تسهم في جلب المزيد من العدل وزيادة إمكانية العيش بسلام دائم، وبتحليل إستراتيجيات الحملات وهياكل قوة البيض في ناشفيل من خلال نظرية تطور الصراع لآدم كورل، فسوف نسلط الضوء على طريقة السير في هذه العملية طوليًّا؛ أي على مدى حياة حملة عمل غير عنيف.

ابتدع آدم كورل – معتمدًا بشكل جزئي على خبرته في العمل بوصفه وسيطًا من خلف الستار في نزاعات التحرير الأفريقية والآسيوية– مصفوفة يمكن أن نرسم عليها الصراعات الاجتماعية لتمييز المراحل التي مرَّت بها وفهمها، وتقارن المصفوفة مستويات القوة التي يمتلكها الطرفان ومستويات الوعي بالنزاع وأعمال الحملة، وهي توفر طريقة مفيدة لتحليل إستراتيجيات اللاعنف لقضية ناشفيل، وسوف ننظم ما تبقى من هذا الفصل وفق المرحلة الأولى من المصفوفة (انظر الشكل 3.7).

المرحلة الأولى: التعليم

لمصفوفة الصراع الاجتماعي أربع مراحل؛ تبدأ المرحلة الأولى بالتعليم، فالظلم والصراع يمكن أن يحدث، لكنه كامن لا يتنبه إليه الكثير من الناس. لم تكن ورش عمل لوسن حول أعمال اللاعنف مجرد مكان للتدريب على أساليب اللاعنف، بل أصبحت أيضًا ملاذًا اجتماعيًّا وسياسيًّا آمنًا لأصحاب التوجهات نفسها؛ كي يجتمعوا ويناقشوا تجاربهم مع التمييز العنصري ورغبتهم في التصدي له، تبادل هؤلاء رواية قصصهم الشخصية عن الظلم وأدركوا أنهم ليسوا وحدهم، وتمت زيادة الوعي الذي يشكل بُعدًا أساسيًّا في المرحلة الأولى من المصفوفة.

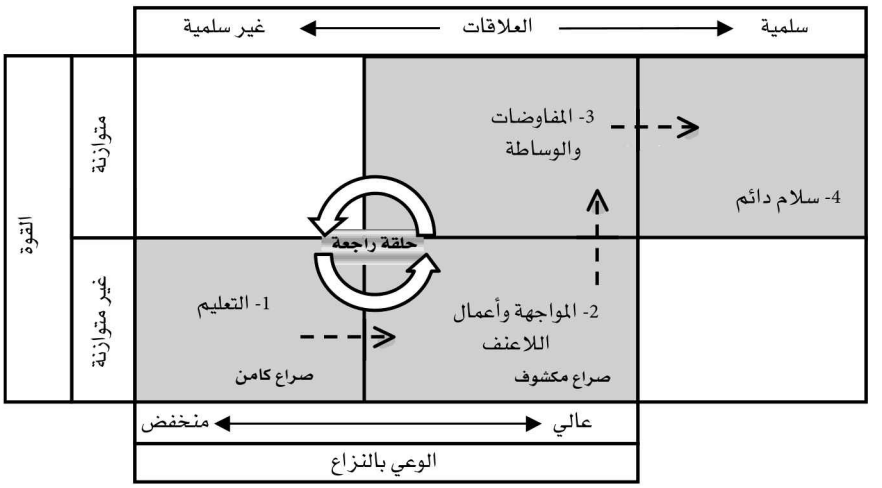

الشكل 3.7 نموذج كيرلي لتطور الصراع

وحسب ما أشارت أنجلين بتلر إحدى الطالبات في ورش العمل- : «لقد انقضت ست سنوات على صدور حكم لصالح عائلة براون، ولم يطرأ شيء على حياتهم، لا شيء» (هالبرستام 1998، ص 76) (Halberstam 1998, p. 76)، فلم يعد الطلاب مستعدين لتقبُّل الوضع الراهن مثل آبائهم، وأرادوا رؤية شيء من التغيير في حياتهم اليومية، وحسب وصف طالب آخر: «لم نعد قادرين على تقبُّل الأمر. . . نحن نحاول اجتثاث وصمة أن نكون أدنى منزلة» (دويل 1985، ص87) (Doyle 1985, p. 87)، جرى التعليم على مستويات عديدة، فقد طوَّر المشاركون في ورش العمل فهمًا مشتركًا حول أن التمييز العنصري القائم في ناشفيل العام 1959 لم يَعُدْ مقبولًا، وكانوا يتعلمون كيفية مواجهة الصراع بطريقة غير عنيفة، ويكتشفون معًا قوتهم المشتركة من خلال أعمال اللاعنف.

لقد اعتمدت ورش العمل على تركيبة من اللاعنف المسيحي وفلسفة غاندي، وكان العديد من الحاضرين طلاب سود وأعضاء في جمعيات محلية للسود، إلا أنه كان هناك عدد من الطلاب البيض أيضًا، هدوء لوسن وطبعه المنهجي دفع بعض الطلاب إلى الابتعاد عنه في البداية، لكنه ما أن ربط التدريب الغاندي بالتقاليد الدينية والثقافية للطلاب، حتى بدؤوا في الإيمان ليس بهدفهم ورسالتهم وحسب، بل أيضًا في طرق اللاعنف التي كان

يطرحها (هالبرستام 1998) (Halberstam 1998)، أوجد لوسن ممَّا بدا في ذلك الحين نهجًا جديدًا في التعليم والتدريب، ما تبيَّن أنه شيء واقعي، مع قيام بعض الطلاب بتأدية دور المحتجين وبعضهم الآخر بدور الخصوم الغاضبين، فكانت عملية محاكاة على أساس أن كل شيء مسموح؛ لأن لوسن أراد أن يكون الشبان مستعدين لسوء المعاملة البدنية والعقلية الكبيرة التي قد يتعرضون لها عند تنفيذ الاعتصامات الفعلية، فتعلم الناشطون كيف يحمون أعضاءهم الحيوية من اللكمات والركلات؛ بأن يتكوَّموا مثل الكرة عند انتزاعهم من مقاعدهم، وكان عليهم أن يتعلموا أيضًا الانضباط الذاتي الذي اكتسبوه بصعوبة، والتصرف المناسب المطلوب كي لا يردوا على الهجمات التي قد يتعرضون لها عند إطفاء السجائر المشتعلة في رقابهم، وألا يردوا لفظيًّا على مَنْ يعترضهم ويحاول استفزازهم، والأهم من ذلك كله أنهم تعلموا أن ينهضوا ويستعيدوا مكانهم الصحيح عند منضدة الطعام، وأن يفعلوا ذلك بكرامة وهدوء صُمِّمَ لاكتساب احترام خصومهم الممتعضين، قال جو جولدثراته أحد الطلاب في ورش العمل:

> «ذهبنا إلى الاجتماعات وبدأنا نتعلم كيف نكون غير عنيفين، أناس يضربونك بعنف كيفما اتفق. . . كان في وسعي تحمل كل شيء باستثناء البصق، الرجل الأبيض مرَّ بي وبصق في وجهي، إذا أردت أن تكون جزءًا من البرنامج، فليس في وسعك أن ترد؛ لأنك بذلك تعرض الجميع لخطر التعرض للأذى أو القتل، ولذلك كان عليَّ أن أتقبل الأمر إذا أردت أن أكون جزءًا. . . لا تُعطِهم سببًا للتحول إلى العنف، كان هذا أول ما كانوا يعظوننا به، أعتقد أنهم حين أوقعوني عن المقعد وبصقوا عليَّ وجرُّوني، كنت مستعدًا لذلك الأمر لأنني تدربت عليه يومًا بعد آخر». (أيزاك وآخرون 2012، ص 173) (Isaac et al. 2012, p. 173)

تطلَّب التمرين من الطلاب أن يطوروا فهمًا آخر لطبيعة كل من الشجاعة والقوة، ولم يكن تعليم تلك الأنشطة يتعلق بالجوانب الفنية لإستراتيجيات اللاعنف قبل استخدامها، بل بالدعامات الفلسفية والنفسية لنهج اللاعنف أيضًا؛ لضمان إحداث تغيير اجتماعي وسياسي، وكلما طالت مدة إعداد المجموعة من خلال ورش العمل، نَمَتْ مستويات ثقتهم الفردية والجماعية، وبعد ذلك بمدة وجيزة شكلوا منظمة جديدة أطلقوا عليها حركة طلاب

ناشفيل، أحاط برنارد لافاييت بالجوانب التعليمية والتحضيرية كافة لورشة العمل عندما سمَّاها بكل تبصُّر (أكاديمية اللاعنف، المساوية لويست بوينت) (أكرمان ودوفال 2000، ص316) (Ackerman and Duvall 2000, p. 316)، هذا الجندي المتطوع كان يجري إعداده للمرحلة التالية من النزاع، وهي مرحلة شَنِّ معركة غير عنيفة لمواجهة الظلم؛ بتصعيد النزاع بطريقة غير عنيفة ثم جعل مواصلة التمييز العنصري ومواصلة العمل كالمعتاد أمرًا مستحيلًا بالنسبة للمجتمع المحلي في ناشفيل، وبالنسبة إلى جيم لوسن - الذي أقنعته دراسته في الهند بضرورة ركوب المخاطر من أجل ضمان إحداث تغيير اجتماعي وسياسي- كانت الاعتصامات أيضًا بمثابة (حكم على أنصاف الجهود التقليدية التي تبذلها الطبقة الوسطى للتعامل مع شر اجتماعي متطرف) (كارسون 1981، ص 23) (Carson 1981, p. 23).

من العام 1959 ذهب الفريق المتكامل الصغير إلى المتاجر، وقاموا بعمليات شراء صغيرة لإثبات أنهم زبائن مستعدون للدفع، وحاولوا الجلوس على مناضد الغداء وطلب الطعام، كانوا في منتهى الأدب، وعند رفض تقديم الخدمة لهم، طلبوا ببساطة المدير وأن يفسر لهم السياسةالمُتَّبعة، كان الفريق الطلابي يقوم بعملية استطلاع يقيس من خلالها المزاج ومستوى المقاومة في كل متجر قبل البدء بالمعركة الفعلية، فالعاملون في بعض المتاجر مثل هارفي، كانوا مُهذَّبين مع الطلاب، وبدا أنهم غير مرتاحين للسياسة الوطنية لرب عملهم، أمَّا المتاجر الأخرى مثل كاين- سلونفقد عاملت الطلاب باحتقار، ووقفت بحزم خلف سياسة التمييز العنصري، هذه العملية الاستخبارية ستكون حيوية عند القيام بالاعتصام الحقيقي؛ لأن الطلاب باتوا يعرفون أي المتاجر يجب استهدافه بمقاومة أشد (هالبرستام 1998) (Halberstam 1998).

مرحلة التعليم في أي حملة تضع الأسس التي ستقوم عليها المراحل التالية، لذلك فهي بالغة الأهمية، ومع ذلك، وحيث إن الناشطين يشنُّون صراعًا لا عنفًا لأنهم مدفوعون بالرغبة إلى إنهاء الظلم، فغالبًا ما يكون لديهم إحساس بالاستعجال، وتَبَعًا لذلك فمن السهل ألا تعطي الحملة الوقت الكافي للمرحلة الأولى مرحلة التعليم، والانتقال بسرعة إلى المرحلة

الثانية المواجهة، لكن القيام بذلك قد تكون له نتائج خطرة إن لم يَجْرِ إعداد الناشطين بشكل كامل لأعمال اللاعنف الشاقة والخطرة، وفي غياب الإعداد الملائم قد يردُّ المقاومون بعنف على العنف، ويبعدوا بذلك المؤيدين المحتملين عنهم، وإذا لم يتم إعدادهم بشكل مناسب لتحمُّل القمع القاسي الذي سيواجهونه، فقد يبدأ الناشطون في الانسحاب من الحملة ويصبح من الصعب إيجاد مقاومين بدلًا عنهم. أخيرًا، فمرحلة التعليم مهمة لأن في وسعها إعداد الناشطين والمجتمع الأوسع من المؤيدين؛ لتجاوز التقلبات الإستراتيجية للحملة صعودًا وهبوطًا، والتي تركز على الأهداف قصيرة وبعيدة المدى، وباختصار فإن الإعداد المناسب يُبقي الأمل والرؤية حيَّيْنِ بغض النظر عمَّا يحدث في مرحلة المواجهة، وتصف أنجلينا بتلر في ما يأتي مرحلة التعليم الصبورة لحركة ناشفيل:

> «كان طلاب ناشفيل يختبرون منطقة المطاعم في منطقة وسط البلد بمجموعات صغيرة، ثم يعودون بعدها إلى ورشة العمل؛ لتقديم تقارير عمَّا حدث لهم في رحلتهم، ووصف شعورهم حيال التعامل معهم، والإفصاح عمَّا إذا كان الناس قد قذفوهم بشيء وهم جالسون إلى المنضدة أو وضعوا عقب سيجارة في ظهرهم، أو إن بصق عليهم شخص لجلوسهم على المناضد، ولكن [في البداية] لم تكن الفكرة هي التعرُّض للاعتقال، بل العودة إلى ورشة العمل عند التعرض للتهديد بالاعتقال، والآن دعونا نتحدث عمَّا حدث، لأن ذاك هو الجزء من التدريب استعدادًا للقيام بحركة ومظاهرات غير عنيفة، ولذلك كُنَّا نعود ونتحدث عن الأمر، ثم نضع أنفسنا [على لعب الأدوار والمحاكاة] في وضع نتظاهر فيه أننا وسط مظاهرة، حيث يمكن أن يقوم الناس بأمور ضدك أسوأ بكثير ممَّا حدث لك يوم نزلت إلى وسط المدينة لتتدرب. . . المشكلة الآن هي كيف تشعر؟ ما هو رد فعلك؟ فهذا ما سيكون عليه الأمر». (أيزاك وآخرون 2012، ص 171–172) (Isaac et al. 2012, pp. 171–2)

وحسب ما ذكرت بتلر (Butler)، فقد خلطت مدة الاعتصامات التجريبية بين التعليم ومرحلة المواجهة، ولفهم إستراتيجيات الصراع غير العنيف فقد يكون الأسهل تقسيمه إلى مراحله أو أجزائه الرئيسة، مثل ما فعلت مصفوفة كيرلي، ولكن لم يزل علينا أن نتذكر أن كل مرحلة هي عملية معقدة وليست حلقة أو حدثًا يمرُّ مرة واحدة، وأن الحدود الفاصلة بين المراحل مائعة بعض الشيء، وقد تشتمل الحملة على أكثر من مرحلة واحدة في الوقت نفسه، مثل ما شاهدنا في حركة ناشفيل حين اختبر الطلاب سياسات المتاجر بمجموعات صغيرة

من دون المخاطرة بالتعرُّض للاعتقال، والعودة إلى ورشة العمل واللقاءات للمشاركة في استخلاص المعلومات والتعلم منها، وقد تبدو العملية بمجملها وكأنها تسير في خط مستقيم، ولكن هناك - غالبًا- حلقات راجعة، وتلك هي طبيعة جميع النزاعات الاجتماعية المعقدة متعددة الأطراف.

والمثال على ذلك أنه طوال مدة الاعتصامات، كان الناشطون يحضرون تدريبًا على أعمال اللاعنف ولقاءات مجتمعية، تلك الاجتماعات (الأسبوعية في بعض الأحيان، والمسائية في أوقات أخرى) كانت مفتوحة أمام المجتمع المحلي كله، وتُعقَد في كنيسة الأب سميث لضمان فهم الكبار للدوافع والتقنيات التي يستخدمها الطلاب، وكانت اللقاءات تركز على الطبيعة الإستراتيجية طويلة الأمد للحملة من أجل التغيير، وإعداد الناشطين للانتكاسات العابرة التي تتعرض لها جميع الحملات، هذا التعليم المنظم لم يحافظ على التزام الطلاب بإستراتيجياتهم وحسب، بل عزَّز أيضًا دعم مجتمع السود الكبار لهم، ومثال ذلك أنه بعد فشل الجولة الأولى من المفاوضات في تحقيق نتائج مرضية، كان الطلاب قادرين على التغلب على خيبة أملهم والانتقال بسرعة إلى المواجهة، ويعود ذلك جزئيًّا إلى مكون التعليم المتواصل وتأكيد الهدف بعيد الأمد.

المرحلة الثانية: المواجهة

المرحلة الثانية من نموذج كيرلي لتطور الصراع هو المواجهة اللاعنيفة، وبالنسبة إلى الطرف المعرض للاضطهاد ومتدني القوة، فإن هذه المرحلة تتعلق بتمكينه، وبأن يُظهر لنفسه وللآخرين القوة التي يمتلكها، ومع ذلك فإن تقرير وقت الانتقال من مرحلة التعليم إلى المواجهة العلنية هو على الدوام قرار دقيق يعتمد على الأساليب والبيئة المحلية، أحد القرارات الإستراتيجية المهمة في قضيتنا هذه كان الامتناع عن القيام باعتصامات واسعة النطاق إلى ما بعد عطلة عيد الميلاد، فقد شعر المنظمون بأن التشويش على موسم التسوق التقليدي لعطلة عيد الميلاد - المهمة بالنسبة إلى سكان ناشفيل البيض من الناحيتين

الاقتصادية والرمزية- قد يثير تداعيات غير ضرورية ويُبعد الانتباه عن الهدف الرئيس، وأحد الجوانب الرئيسة لحملات اللاعنف الناجحة هو الوصول إلى غير المشاركين من كلا طرفي النزاع، واكتساب تعاطفهم و دعمهم ومشاركتهم. في ناشفيل العام 1959 كان القيام بالكثير بسرعة يمكن أن يحيد (الشدة مع كسرة على الياء) جمهور المتابعين من المجتمعات المحلية للبيض و السود بدلاً من إضافة إلى ذلك، فإن الانتظار حتى شباط/ فبراير سيعطي الحركة المزيد من الوقت للاستعداد ويجدول الاعتصامات لوقت من السنة أقلَّ ازدحامًا، سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية.

الصندوق 1.7 الانضباط الذاتي في اعتصامات ناشفيل

لم يكن طلاب ناشفيل يخرقون أي قانون بجلوسهم على مناضد الغداء، وكانوا يتحدُّون الوضع القائم والسياسات المحلية، فيقومون بذلك بأعلى درجات الاحترام والتقدير للموظفين ولممتلكات المتجر، ولا يريدون سوى إبراز الظلم وبالتالي التناقض في الاضطهاد، ولذلك اعتصموا بالجلوس إلى مناضد الغداء، بعد أن ارتدوا أفضل ما لديهم من ملابس، وحين وصلوا فتحوا كتبهم وبدؤوا الدراسة بهدوء، لم يلجؤوا إلى العنف أو يسيؤوا التصرف تجاه أي شخص لعرض وجهة نظرهم، وقد وافق الذين شاركوا على الالتزام بالإرشادات التالية:

امتنع عن:

1. رد الضربة أو الشتيمة إذا أُسيئت معاملتك.
2. الضحك بصوتٍ عالٍ.
3. إجراء محادثة مع العاملين في القاعة.
4. مغادرة مقعدك قبل أن يعطيك قائدك الإذن للقيام بذلك.
5. إغلاق مداخل المتجر أو ممراته الداخلية.

افعل الآتي:

1. اظهرْ بمظهر الصديق المُهذَّب في جميع الأوقات.
2. اجلسْ معتدلًا مُواجِهًا للمنضدة.
3. أبلِغْ قائدك بجميع الأحداث المهمة.
4. حوِّل الباحثين عن المعلومات إلى قائدك بطريقة مهذبة.

5. تذكَّرْ تعاليم يسوع المسيح، والمهاتما غاندي، ومارتن لوثر كينج؛ حب اللاعنف هو الطريق.

وحين يلجأ مَنْ يحقرونهم ويشتمونهم إلى العنف أو الضرب، لا يحاول الطلاب الرد أو حماية أنفسهم، ما يجعل الظلم في الموقف أشدَّ بروزًا، والمؤيدون للتمييز العنصري أيضًا مثل جيمس كيلباتريك محرر صحيفة (ريتشموند نيوز ليدر) (Richmond News Leader)، أشاروا إلى التناقض الصارخ الذي ولَّدته أساليب اللاعنف لدى البلطجية البيض الذين وصلوا إلى التحرُّش بالطلاب السود.

هنا كان الطلاب الملونون يرتدون المعاطف والقمصان البيضاء وربطات العنق، وكان أحدهم يقرأ كتابًا لغوته، وآخر يسجل ملاحظات من كتاب مدرسي في علم الأحياء، وفي الممشى الخارجي كانت عصابة من الفتية البيض جاؤوا للمضايقة، رعاع ثيابهم رثة، وحنكهم مرخي، يرتدون سترًا سوداء، ويرسمون على وجوههم تكشيرة مناسبة للقتل، وكان بعضهم يلوح بعلم الولايات الجنوبية الشامخ في الحرب الأخيرة التي خاضها السادة. آه! إنه أمر يدعو إلى التفكير. المذكورة في Cozzen 1998.

جرى أول اعتصام واسع النطاق في 13 شباط/ فبراير من العام 1960، ناقلًا الحملة إلى مرحلة المواجهة، وقد تنبَّه لوسن وطلابه لأدق التفاصيل، متابعين أفضل ممارسات الكفاح اللاعنيف، بما في ذلك قوة الرموز والاستهداف المنضبط، ومثال ذلك أن كل طالب ارتدى أفضل ملابسه، ما يضاعف من صعوبة أن يصفهم مضطهديهم البيض في جنوب جيم كرو بأنهم مغرورون مثيرون للشغب، واستبعد الخلط بين الجنسين سواء من البيض أو السود؛ حيث إن القضية التي تجري مواجهتها في هذه الحملة هي التمييز العنصري على مناضد الطعام، وليس المواعدة أو الزواج المختلط، وأكثر من (100) طالب هادئ حسن الهندام، اتخذوا أماكنهم على مناضد الطعام في عدد من متاجر وسط المدينة، وبعد رفض تقديم الخدمة لهم بقوا جالسين في أماكنهم، بعضهم يدرس بهدوء، مُرسِلين رسالة رمزية أخرى بأنهم يستحقون الاحترام والخدمة، أما مالكو المتاجر البيض الذين وقفوا حائرين لا يعرفون كيف يردون، فقد أغلقوا مناضد الطعام، ولم يحدث أي اعتقال أو عنف، وقد أنعش نجاح أول اعتصام الروح المعنوية لجميع الطلاب، فبعد عودتهم إلى الكنيسة تلك الليلة لتقديم ملخص عما حدث ورسم الإستراتيجية، قال جون لويس: «كان الأمر أشبه بليلة رأس السنة

في نيويورك؛ صياح، وهتاف، واحتضان، وضحك، وغناء» (لويس ودي أورسو 1998، ص 96) (Lewis & d'Orso 1998, p. 96).

جرى الاعتصامان الثاني والثالث خلال الأسبوع التالي، متبعًا نمطًا مماثلًا من ردود أفعال أصحاب المتاجر، إلا أن أصحاب المتاجر بدؤوا يزدادون عصبية ولا تعجبهم الفوضى والتكلفة التي تسببها الاعتصامات، وبدأ مسؤولو المدينة يتحدثون بهدوء عن الوضع مع رجالات الكنيسة البارزين من السود، وبحلول الاعتصام الثالث بدأ عدد المحتجين من البيض يتزايد والتهديد بالعنف ضد الطلاب يتصاعد، عدد من رجال الدين القلقين من احتمال نشوب عنف حقيقي ضد الطلاب، حاولوا التحدث إليهم لتعليق الاعتصامات وإنجاح المفاوضات بين مسؤولي المدينة، وأصحاب الأعمال المحليين، وقادة المجتمع المحلي من السود، لكن ما كانت الكلمات تكفي لتهدئة الطلاب (ستولمان 2006) (Stollman 2006)، هذا خطر شائع وقعت الكثير من الحملات ضحية له، وهو الانتقال بسرعة من مرحلة المواجهات إلى مرحلة المفاوضات، فإذا انتقل المقاومون إلى مرحلة المفاوضات بسرعة – قبل أن يُظهروا حجم قوتهم الحقيقية من خلال أعمال اللاعنف- فإنهم يُخاطرون بالتعرُّض للاستقطاب وتفكك الحشد، الذي يُفضي إلى عدم تحقيق الأهداف (كوي وهيدين 2005) (Coy & Hedeen 2005)، وفي هذه الحالة أبدى الطلاب حكمة إستراتيجية أكثر من كبارهم الخجولين.

يوم السبت 27 شباط/ فبرايرمن العام 1960، أصبح الاعتصام الرابع وتداعياته نقطة التحول في الطريقة التي ردَّ بها بيض ناشفيل على الوضع، علم ويل كامبل من خلال اتصالاته في دار البلدية بأن الشرطة في منطقة وسط المدينة ستنسحب في ذلك اليوم من منطقة وسط المدينة؛ لتمكين المحتجين البيض من التحرش بالمحتجين لفظيًّا وبدنيًّا (هوستون 2007) (Houston 2007)، ثم تعود الشرطة لاعتقال الطلاب، شارك أكثر من (300) طالب في (السبت الكبير) حسب ما بات يُعرَف به، مجموعات من المحتجين البيض تطاولوا بالألفاظ واعتدوا بدنيًّا على العديد من الطلاب في ذلك اليوم، لكنهم لم يردُّوا على هذا

الاعتداء إطلاقًا، انتُزع الطلاب المحتجون من مقاعدهم ورُكِلوا، وأُطفئت أعقاب السجائر في أجسادهم، وأُفرِغت زجاجات الكاتشب والخردل على رؤوس بعضهم، خلال كل ذلك بقوا متمسكين بما تدربوا عليه ومنضبطين وهادئين في الظاهر، تضمنت أساليب اللاعنف في ذلك اليوم تقنية الموجة البشرية التي طبقتها (ساتياجراها غاندي) (Gandhian satyagrahis) في ملّاحات داراسانا في العام 1930 خلال حملة الاستقلال الهندية، فما أن يتم اعتقال مجموعة من الطلاب حتى تأتي مجموعة أخرى لتحلَّ محلهم على المناضد، فتم اعتقال واحد وثمانين طالبًا لم يمارسوا أيَّ شكل من أشكال العنف، ولم يُعتَقَل أيُّ شخص من المهاجمين البيض.

في نظرية اللاعنف تشير عبارة (التناقض الظاهري للقمع) إلى حقيقة أنه حين تستخدم قوة مسيطرة مستبدة سلطتها بعنف أو بطريقة مدمرة ضد خصم غير عنيف، فإن الدعم للخصم يزيد (ويخفض بالتالي قوة الطرف المسيطر النسبية) [2]. وقد يتمخَّض القمع المفرط عن الكثير من التداعيات التي تعطي ميزة للمحتجين، ومثال ذلك أن الأشخاص غير الملتزمين ممَّن وقفوا على الحياد سابقًا قد ينضمون إلى قضية المستضعفين غير العنيفين، الذين سيُنظَر إليهم على أنهم لا يستحقون ردة الفعل المبالغ فيها أو القمع العنيف، وقد تحدث انقسامات في صفوف القامعين، وقد يزداد ناشطو الحركة تمسكًا بقضيتهم ويشجعهم على فعل المزيد، وقد تنتقل القوة من الجهة القامعة المسيطرة إلى المتحدي غير العنيف.

كمثال كلاسيكي عن التناقض الظاهري للقمع، منظر زنازين سجن ناشفيل وقد امتلأت بطلاب سود شباب أنيقين، متعلمين، محترمين، هم موضع فخر المجتمع الأسود، كل ما فعلوه أنهم أرادوا شراء شطيرة من محل عام لبيع الطعام، كان ذلك المنظر بمثابة كابوس للعلاقات العامة، المحافظ ويست خفض الكفالة إلى (5) دولارات، لكن الطلاب رفضوا التعاون مع ظلم الموقف ورفضوا دفع الغرامة، فأطلق سراحهم في تلك الليلة من دون كفالة، وبعد يومين غرَّم الطلاب مرة أخرى، ومرة أخرى رفضوا التعاون مع الظلم، ورفضوا الدفع، واختاروا بدلًا من ذلك عقوبة الحبس مدة 30 يومًا في إصلاحية المقاطعة، مستخدمين

التناقض الظاهري للقمع لإبراز مدى الغبن في الوضع، وبعد سنوات، استذكر جون لويس أول اعتقال له بتهمة العصيان المدني غير العنيف، فقال: «لم أشعر من قبل بذلك القدر من الكرامة، كان الأمر مُبهِجًا للغاية، كان شيئًا اكتسبته، شعور بالاستقلال يأتي لشخص حر» (هالبرستام 1988، ص 140) (Halberstam 1988, p. 140).

أعفى المحافظ ويست - الذي أدرك أن تزايد الانتباه الوطني السلبي كان يؤذي سمعة مدينة ناشفيل- الطلاب من الأحكام الصادرة ضدَّهم بعد يومين، وبنى قراره على شرط أن يوقف الطلاب الاعتصامات، بينما شكَّل لجنة ثنائية العرق لمعالجة الوضع. وفي حين ضمَّت اللجنة ثنائية العرق قادة رجال الأعمال البيض المحليين، والمحافظ، وعددًا من عمداء الجامعات السود، إلا أنها لم تَضُم أيًّا من قادة الطلاب، وفي مسعى آخر لنزع فتيل النزاع، قابل المحافظ ويست حوالي (75) قِسِّيسًا أسود ممَّن أغضبهم عدم قيام شرطة ناشفيل بحماية الطلاب غير العنيفين من سوء المعاملة، وأظهرت جميع تلك التطورات أن مرحلة المواجهة في الصراع قد نجحت؛ سكان ناشفيل كلهم - البيض والسود- تنبَّهوا الآن للنزاع، بدأت قوى الطرفين تتوازن، وكان مجتمع السود الكبار على وشك تصعيد النزاع بقدر كبير.

المرحلة الثالثة: المفاوضات (مع حلقات راجعة)

دخلت الحملة المرحلة الثالثة من نموذج كيرلي لتطور الصراع؛ أي المفاوضات، وحسب ما وضَّح كيرلي في مصفوفة النزاع التي وضع نظريتها؛ أي التعليم والمواجهة اللاعنيفة المنضبطة التي عدلت عدم التوازن التاريخي في القوة - إلى حدٍّ ما-، فقد أدى ردُّ الفعل الذي ولَّده العنف المُرتكَب ضد الطلاب غير العنيفين إلى دفع القضية إلى العلن، وكشف القوة الكبيرة للحركة، وأجبر المدينة على التفاوض، وكما يحدث عادة في حركات اللاعنف، فقد تحركت الحملة ذهابًا وإيابًا بين المواجهة والمفاوضات.

ضرب الطلاب استمر، واعتقالاتهم اللاحقة حرَّكت العديد من الكبار في مجتمع السود، فإذا كان هؤلاء الطلاب - الذين يمثلون أفضل وأذكى أعضاء المجتمع- مستعدين

لتحمُّل مثل هذه المخاطر، فإن الكبار سوف يدعمونهم أكثر ويزيدون الضغط على التمييز العنصري؛ بإطلاق عملية مقاطعة كاملة لمتاجر وسط البلد، حتى خلال قيام لجنة المحافظ ثنائية العرق بالتفاوض.

رغم العديد من الأساطير التي ظهرت حول الطريقة التي تبلورت فيها فكرة مقاطعة التسوق في منطقة وسط المدينة، فقد روى بيفال الرواية الأوضح، فقال إن قسم الاقتصاد في جامعة فيسك الذي ترأسه الدكتورة فيفيان هندرسون أثار الفكرة خلال أحد اللقاءات المنتظمة التي كان تجري في كنيسة الأب سميث (موريس 1981) (Morris 1981). والخسائر الاقتصادية التي نتجت عن المقاطعة - مقرونة بتحاشي البيض النزول إلى وسط المدينة بسبب عنف المحتجين البيض- دفعت مجتمع الأعمال إلى اتخاذ موقف أكثر تقبُّلًا تجاه المفاوضات، وذكر الأب سميث أنه بعد مدة وجيزة من بدء المقاطعة، بدأ التجار البيض بالقدوم إلى بيته طالبين (التحدث) (موريس 1984) (Morris 1984).

ثم في 16 آذار/ مارس، اعتصمت ديان ناش وبعض الطلاب الآخرين على موائد الطعام عند محطة حافلات جريهاوند، وهي منطقة غير مغطاة باتفاقهم مع المحافظ، فتم تقديم الخدمة لهم دون حوادث، هذا الأسلوب حافظ على استمرار الضغط على المحافظ إضافة إلى أنه كان تفكيرًا إستراتيجيًّا سليمًا؛ لأنه وسَّع إستراتيجية العمل إلى مستوى قانوني وطني بتحديه التمييز العنصري في مرافق التجارة بين الولايات.

سمع الطلاب من خلال اتصالاتهم بأن اللجنة ثنائية العرق ستقترح خطة دمج جزئي فقط لمناضد الطعام؛ نصف للزبائن البيض، ونصف آخر مفتوح للسود، هذه النتيجة غير المقبولة دفعت الحركة إلى إعادة الاعتصامات في متاجر وسط المدينة يوم 26 آذار/ مارس من العام 1960، وبسبب شكِّ الطلاب في أن جون سلون كان يُعرقل حلًا يسعى إليه أصحاب المتاجر الآخرين، جلس (120) طالبًا في متجره، وتحققت شكوك الطلاب عند إصدار اللجنة ثنائية العرق تقريرها يوم 5 نيسان/ أبريل، الذي دعت فيه إلى دمج جزئي.

فشل المفاوضات – مقرونًا بالمقاطعة المستمرة والعودة إلى الاعتصامات– كان يمثل حلقة رجوع كاملة إلى المرحلة الثانية من نموذج كيرلي؛ أي المواجهة في ذلك الحين، وكانت مقاطعة التسوق وسط البلد ما زالت صامدة بقوة، والأعمال التي كانت تنزف ماليًّا بسبب المقاطعة باتت تواجه الآن احتمال أن تفقد دولارات عيد الفصح المهمة، وحسب ما بيَّن برنارد لافاييت: «كانت مدينة أشباح في المنطقة هناك... الأشخاص الوحيدون الذين قد تراهم هم المتظاهرون» (أكرمان ودوفال 2000، ص 324) (Ackerman and Duvall 2000, p. 324).

بقي الوضع جامدًا مدة شهر آخر، مع استمرار الاعتصامات والمقاطعة، وكل ذلك تغير بصورة درامية يوم 9 نيسان/ أبريل من العام 1960، صباح ذلك اليوم نُسِفَ منزل زد. أ. لوبي، المحامي الأسود البارز والمحترم والذي كان أحد اثنين من السود يخدمون في مجلس البلدية، وقد كان المحامي لوبي يساعد الطلاب بعد اعتقالهم وخلال مثولهم أمام المحاكم، فدُمِّرَ بالديناميت، ولم يُصَبْ هو أو زوجته بأذى، لكن الانفجار القوي (الذي دمر النوافذ في الحي كله) صدم سكان ناشفيل، وحسب قول ويل كامبل، فقد امتدت تداعيات التفجير إلى سكان ناشفيل الذين كانوا يدعمون التمييز العنصري، «السيد لوب، يا إلهي، إنه جمهوري، ولم يكن متطرفًا خَطِرًا... وكان بعض الناس يقول، وكثيرون منهم عنصريون: الآن، تنسفون منزل الرجل، تعلمون أن منزله قلعته،وقد ساعد ذلك على تولُّد صدمةكبيرة لدى مجتمع البيض ودفعهم إلى دعم الطلاب والرغبة في إنهاء العنف» (هوستون 2007) (Houston 2007).

تحليل كامبل يقلل من أهمية الحدث، والواقع أن التفجير قطع الطريق على أي شرعية سياسية ما زالت تحمي فساد التمييز العنصري، وقد استخدمته الحركة بوصفه فرصة لاستغلال التناقض الظاهري للقمع، وإظهار قوتهم، وزيادة تصعيد النضال من دون عنف؛ بمسيرة صامتة إلى دار البلدية في اليوم نفسه، ولم يكن هناك غناء، أو هتافات، فقط الخطوات الهادئة والثابتة لآلاف المتظاهرين العازمين، وفي حين لم يَزِدْ عدد المتظاهرين

في أي مظاهرة سابقة عن (400) مشارك، فقد بدأ المسيرة (1500) شخص، وعند وصولها دار البلدية كان العدد قد ارتفع إلى (3000) من الطلاب والكبار، حينها فقط بدؤوا في الغناء، قابل المحافظ ويست الطلاب عند درجات مدخل المبنى، وبعد دقائق من الحوار والنقاش، وافق المحافظ خلالها على أن التمييز عمل لا أخلاقي، عندها سألت ديان ناش السؤال الحاسم: «إذن، حضرة المحافظ، هل توصي بوقف التمييز على مناضد الغداء؟» أجاب المحافظ ببساطة، «نعم»، وسرعان ما تغيرت ناشفيل ولم تَعُدْ كما كانت (هالبرستام 1998) (Halberstam 1998).

بذلك الجواب، دخل محافظ ناشفيل، وأصحاب الأعمال البيض وقادة الطلاب، في مرحلة المفاوضات مجددًا، وبعد بضعة أسابيع من المفاوضات، اتفق مالكو الأعمال والحركة على إلغاء التمييز العنصري بالكامل على مناضد الطعام ابتداءً من يوم 10 نيسان/ مايو من العام 1960، ولكن لم يصدر أي بيان رسمي بخصوص الخطة، ووافق الطلاب على أن تقوم مجموعات صغيرة العدد من السود بطلب الخدمة، فمكَّنت تلك التنازلات أصحاب الأعمال من إنقاذ ماء الوجه والشعور بأنهم محميون من ردود فعل ممارسي التمييز العنصري البيض (أكرمان ودوفال 2000) (Ackerman and Duvall 2000). وخلال ما يزيد قليلًا عن ستة شهور تمكنت حملة اللاعنف الصارمة من تحقيق هدفها الأولي.

المرحلة الرابعة: السلام الدائم

بعد المواجهة على درجات مبنى البلدية والمفاوضات اللاحقة التي فتحت مناضد الطعام أمام الجميع، اقتربت الحملة من المرحلة النهائية لمصفوفة كيرلي لتطور الصراع لكنها لم تحققها بالكامل، وهي السلام الدائم، أهداف الحملة المعلنة والملزمة تمت تلبيتها بالكامل من خلال المفاوضات، وأصبح المجتمع المحلي للسود شريكًا كاملًا يمتلك قوة ظاهرة، أمَّا التحول المهم الذي حدث في القوة فسيتردَّدُ صداه لسنين قادمة، ولكن حسب الوضع القائم في العديد من النزاعات الاجتماعية المطوَّلة، كان نزاع مناضد الطعام

ضمن نزاع أكبر حول التمييز العنصري والظلم العرقي بشكل عام، وهذا الكفاح الأوسع لم يزل بحاجة لأن يُشَنَّ بطرق عديدة، سواء في ناشفيل أو ما هو أبعد من ذلك، وبهذه الطريقة، فإن السلم الدائم لم يتحقق بالكامل ولا حتى في ناشفيل، لكنَّ أمرًا مساويًا له في الأهمية قد تحقق، وهو أن النجاح هناك - ولاسيَّما مظاهرات قوى اللاعنف الفاعلة- حثَّ ناشطي ناشفيل والحركة الأوسع على مواجهة جوانب أخرى من التمييز العرقي في المدينة وفي المنطقة كلها. . لذلك تُبيِّن هذه القضية الطبيعة الإستراتيجية للصراعات الاجتماعية،المتمثلة في أن النجاح في حل أحد النزاعات قد يُشغِّل مضخة صراعات أخرى ذات صلة كي تُخاضَ وتُشَنَّ بطرق غير عنيفة.

النتائج

يعد نجاح حركة الاعتصام الطلابية في دمج مناضد غداء وسط المدينة في ناشفيل مثالًا قويًّا على الكيفية التي يمكن بها للعمل المباشر غير العنيف أن يؤدي إلى تغيير دائم، لكن نصر الطلاب لم يكن سوى الخطوة الأولى في معركة طويلة من أجل حقوق متساوية، أما الأبعاد الأخرى للتمييز العنصري فتمَّت مواجهتها في ما بعد، ومصفوفة كيرلي لتطور الصراع استُخدمت من جديد مرات عديدة وفي أماكن مختلفة، بما في ذلك ناشفيل، فبعد اعتصامات مناضد الطعام، تنبَّه مجتمع ناشفيل لضعف نظام التمييز العنصري أمام التحديات، ونُظِّمَ المزيد من المظاهرات، وجرت اعتصامات أخرى في المطاعم والمقاهي خارج منطقة وسط المدينة، وشُنَّتْ (اعتصامات النوم) في الفنادق و(اعتصامات الوقوف) في دور السينما (اكرمان ودوفال 2000) (Ackerman and Duvall 2000)، ثم صار الناس يعترضون ويتوسعون في أساليب المقاطعة لتصل إلى المتاجر بناءً على سياساتها التوظيفية، فبعض المتاجر وظف أميركيين من أصل أفريقي لأول مرة في مناصب غير الأعمال الوضيعة (موريس 1984) (Morris 1984).

خطوة بعد خطوة بدأت مؤسسات التمييز العنصري تنهار من خلال ناشفيل ومن خلال البلاد كلها، إلى أن صدر قانون الحقوق المدنية للعام 1964؛ ليجعل من التمييز العنصري في الأماكن العامة أمرًا غير مشروع، وتستذكر ناش سماع أخبار قيام مجموعات طلابية في أماكن أخرى باعتصامات مماثلة، فتنامي الحركة جعلها تشعر بأنها قوية، وليست وحيدة، وأثبت أهمية حملة ناشفيل: «سمعنا تلك النشرات الإخبارية، بأن مُدُنًا أخرى قد تظاهرت، كان الأمر مساعدًا حقًّا؛ لأنه كان هناك المزيد من أمثالنا، وكان هذا مهمًّا جدًّا» (هامبتون وآخرون 1990، ص 58) (Hampton et al. 1990, p. 58).

لم تكن بيئة وسط المدينة في ناشفيل الشيء الوحيد الذي تغيَّر نتيجة الاعتصامات، فقد تغيَّر تاريخ جامعة فاندربلت إلى الأبد نتيجة أحداث بداية العام 1960، ونتيجة لضغوط جيمي ستالمان - المحرر في صحيفة (ذي بانر) (The Banner)- على المحافظة ومجلس أمناء الجامعة، تم فصل جيمس لوس James Lawson ن من مدرسة اللاهوت يوم 3 آذار من العام 1960؛ لدوره في تنظيم الاعتصامات، هذا الطرد استدعى ردَّ فعل فوري من الكلية والطلاب في فاندربلت، حيث قدَّم ثمانية أساتذة من أصل (16) بروفيسورًا في مدرسة اللاهوت استقالاتهم حين رفض العميد هارفي برانسكومب اقتراحهم بإعادة لوسن إلى الكلية، تَبِعَ ذلك استقالات من دوائر أخرى في الكلية، بما في ذلك العديد من أعضاء كلية الطب، ممَّا هدَّد تمويل بحوث الجامعة ومكانتها (وادل 2002) (Waddle 2002)، وكان برانسكومب يعلم بأن عليه استعادة الكلية، لكن مجلس الأمناء لم يسمح بإعادة لوسن، وفي النهاية تم حل المأزق الذي تورَّط فيه عميد الكلية ومجلس الأمناء والكلية، بعد أن أخبر برانسكومب مجلس الأمناء بأنه سيستقيل إن لم يتمكن من إعادة ضبط الكلية، فرضخ المجلس وسمح بإعادة الأمور إلى نصابها وعودة لوسن، إلا أن لوسن كان قد انتقل إلى جامعة بوسطن لاستكمال دراسته.

يشعر الكثيرون بأن فصل لوسن سمح للعميد برانسكومب بدفع خطط الدمج قُدُمًا في الجامعة كلها، وبمدة أبكر بكثير ممَّا توقع في البدء، في حين شعر آخرون بأن ذلك الحدث

قد جلب الحوار الجاد حول العرق والعلاقات الطلابية إلى المقدمة في فاندربلت (وادل 2002) (Waddle 2002). ورغم بدء مدرسة اللاهوت في إلغاء الفصل العنصري بهدوء منذ العام 1953، إلا أن جامعة فاندربلت نفسها لم تصبح مُدمَجة بالكامل إلا في العام 1962، ولم يبدأ الطلاب السود في الالتحاق بها إلا في العام 1964، بعد سنوات عديدة، اعتذرت جامعة فاندربلت للوسن علنًا، مُبيِّنةً القدرة التحويلية للنزاعات الاجتماعية التي تُخاض من دون عنف، ورحبت بعودته إلى الحرم الجامعي للعمل بوصفه أستاذًا جامعيًّا متميزًا.

نظر العديد من الباحثين في الأسباب التي جعلت العمل المباشر للاعنف يحقق كل هذا النجاح في ناشفيل، فكان أحد هذه الأسباب مجموعة الشباب الطلاب غير المعروفين الذين قادوا الاعتصامات، وما ساهم في نجاحهم هو المستوى العالي من الالتزام، سواء بالتدريب على أعمال اللاعنف الذي وفَّره لوسن أو في تحديهم نظام التمييز العنصري، فقد كانوا مستعدين للمخاطرة بسمعتهم وبحياتهم من أجل إنهاء التمييز العنصري على مناضد الطعام، وقد ركزت حملتهم على هدف واحد كان له أصداء كبيرة داخل المجتمع الأوسع للأميركيين من أصول أفريقية، كما حافظوا على تركيزهم المنضبط حسب هدفهم وسلوكاتهم، وبفضل ما تعلموه من خلال حملتهم والاحترام الذي جلبه لهم نجاحهم، أصبح طلاب ناشفيل في ما بعد من أكثر قادة حركة الحقوق المدنية تأثيرًا.

إن أحد أهم مساهماتهم هو تأسيس (اللجنة الطلابية لتنسيق اللاعنف) في نيسان/أبريل من العام 1960 في جامعة شو، في رالي- كارولينا الشمالية، خلال مؤتمر القيادات الشابة الذي نظمته إيلا بيكر، الموظفة في مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية، والعديد من الكليات أرسلت إلى المؤتمر طلابًا يمثلونهم، طالبًا أو اثنين عادة، إلا أن وفد ناشفيل تضمن (16) طالبًا، فقد ألزمت (اللجنة الطلابية لتنسيق اللاعنف) نفسها التشدد في اللاعنف والديموقراطية التشاركية، مُلهِمين تشكيل العديد من الجماعات الأخرى في مدن الشمال وفي صفوف الطلاب البيض أيضًا (أيزاك وآخرون 2012) (Isaac et al. 2012).

وأثبت أعضاء (اللجنة الطلابية لتنسيق اللاعنف) أنهم عند وعدهم بالنسبة للتشدد في اللاعنف، حين تقدَّموا في لحظة حاسمة لمواصلة (حملة جولات الحرية) من خلال الولايات الجنوبية البعيدة، ويتكون ركاب الحرية من فرق ثنائية العرق، يجلس أفرادها معًا في المقاعد الأمامية في الحافلات المتنقلة بين الولايات، متحدين بذلك التمييز العنصري في السفر بين الولايات، ولكن حين هدد العنف المتطرف حياة هؤلاء الركاب، أوقف الراعي الأصلي - مؤتمر المساواة العرقية- تلك الجولات في أيار/ مايو من العام 1961، فعلقت ديان ناش على الأمر قائلة: «قرَّر الطلاب [مجموعة ناشفيل] أننا لا يمكن أن نسمح للعنف بأن يسود. . . إذا أوقفونا بالعنف، فإن الحركة ستموت» (أرسينولت 2006، ص 181) (Arsenault 2006, p. 181)، ولا يُعزى للجنة الطلابية لتنسيق اللاعنف الفضل في مواصلة جولات الحرية وحسب، بل أيضًا المساعدة على إبقاء زخم حركة الحقوق المدنية نفسه مستمرًّا بعد اعتصامات العام 1960، ويعود الفضل في إنجاز ذلك جزئيًّا إلى نشر ناشطي ناشفيل نموذج ورش عمل لوسن التدريبية في المدن والحملات عبر الجنوب كله، وما هو أبعد من ذلك (أيزاك وآخرون 2012) (Isaac et al. 2012)، وإلى ترويج ديان ناش (Diane Nash's) لأسلوبها الذي استخدم بنجاح في ناشفيل، وهو القائل: (السجن ولا الكفالة) في جميع الحركات (ستولمان 2006) (Stollman 2006).

وقد كان الطلاب - بوصفهم مجموعة متآلفة- يشكلون فريقًا قويًّا، لكنهم كانوا أيضًا محاربين أشداء على المستوى الفردي، وأصبحت ديان ناش عاملة ميدانية في اللجنة الطلابية لتنسيق اللاعنف، توجه عمل جناح العمل المباشر وتسهم في العديد من الحملات، من أشهرها روك هيل، جنوب كارولينا (1961) (1961) Carolina، وجاكسون Jackson، في الميسيسيبي (1962) (1962) Mississippi، وبرمنجهام، ألاباما (1963) Birmingham, (1963) Alabama، كما شاركت بفاعلية وساعدت في تخطيط جولات الحرية في العام 1961، ومسيرات سيلما في العام 1965. أصبح جون لويس رئيس اللجنة الطلابية لتنسيق اللاعنف، وشارك في جولات الحرية ومسيرات سيلما، وكان يعد واحدًا من القادة (الستة الكبار) في حركة الحقوق المدنية. وفي العام 1985 انتُخِبَ عضوًا للكونجرس عن ولاية جورجيا، ليصبح

ثاني شخص أسود يُنتخَب للكونجرس منذ إعادة الإعمار، وتُعزى إلى جيمس بيفل فكرة المسيرة إلى واشنطن، التي بلغت ذروتها في خطاب مارتن لوثر كينج ذائع الصيت (لدي حلم) في العام 1963، وكان له دور كبير في تشكيل حركة برمنجهام (هالبرستام 1998) (Halberstam 1998)، هؤلاء القادة الشباب جلبوا معهم دروس لا عنف العمل المباشر الذي تعلموه في ورش عمل لوسن في ناشفيل، ولا أدَلَّ على ذلك من حقيقة أن قواعد السلوك في ناشفيل بالمحافظة على الانضباط واللاعنف أصبحت مثالًا للحملات المستقبلية عبر الجنوب كله (كارسون 1981) (Carson 1981).

ثمة نتيجة مهمة أخرى برزت من الاعتصامات بشكل خاص ومن الحركة بشكل عام، هي تراجع دعم السود القائم منذ عقود للحزب الجمهوري، فقد تقاطعت طرق مارتن لوثر كينج، وجون ف. كينيدي خلال حملة الانتخابات الرئاسية في العام 1960، ولم يكن كينج مؤيدًا في السابق لكينيدي بسبب سِجِلِّه الباهت بالنسبة إلى الحقوق المدنية، وفي تشرين الأول/ أكتوبر من العام 1960، شارك كينج في اعتصام في أحد مطاعم أتلانتا كان جزءًا من موجة اعتصامات جاءت بعد ناشفيل، اعتُقِلَ على إثرها وسُجِن، قام بعدها كينيدي بعدد من الخطوات الرئيسة غيَّرت اتجاه حملته وعزَّزت سمعته بوصفه داعمًا للحقوق المدنية، وأجرى شقيقه روبرت اتصالًا بقاضٍ في أتلانتا لمحاولة إخراج كينج من السجن، بينما اتصل جون كينيدي شخصيًّا بكوريتا زوجة كينج للتعبير عن قلقه.

احتضان كينيدي للاعتصامات كان واضحًا تمامًا: «إنه لمن التقاليد الأمريكية أن نقف من أجل الحقوق الشخصية، وإن كانت الطريقة الجديدة أن نجلس من أجل تلك الحقوق» (برانش 1988، ص314) (Branch 1988, p. 314). ومن جهة أخرى رفض خصم كينيدي – مرشح الرئاسة الجمهوري ونائب الرئيس في ذلك الحين ريتشارد نيكسون– التعليق على اعتقال كينج، مُبعِدًا بذلك الناخبين السود، ورغم أن كينج لم يسهم بفاعلية في الحملة الرئاسية، فإن التحول المهم في أصوات السود تجاه الديموقراطيين أسهم في فوز كينيدي في الولايات الحاسمة بالنسبة إلى المجمع الانتخابي وهي إلينوي، وميشيغان، ونيوجيرسي،

ونيويورك، وبنسلفانيا، وكارولينا الجنوبية، وتكساس، ومن ثم الرئاسة (برانش 1988) (Branch 1988)، وهذا مكن بدوره للرئاسات الديموقراطية لجون كينيدي وليندون جونسون التي حوَّلت الحلبة السياسية للحقوق المدنية في الولايات المتحدة.

الخلاصة

بقيت حقول دراسات اللاعنف وحل النزاعات غير مرتبطة ببعضها لمدة طويلة، ويطبق تحليلنا لقضية ناشفيل إطار عمل نظري كلاسيكي، ابتداءً من فض النزاعات (مصفوفة آدم كيرلي التي تصف مراحل تطور النزاعات الاجتماعية)، حتى قضية أعمال اللاعنف التي لا تَقِلُّ عنها كلاسيكية (حركة اعتصامات ناشفيل للعام1960)، ولا يقيم هذا الفصل الجسور بين الحقول فقط بل يبني نظرية أيضًا، وتُبيِّن هذه القضية فوائد تحليل حملات اللاعنف في مراحل منفصلة نسبيًّا، كما تُبيِّن أن إستراتيجية اللاعنف الفاعلة تعتمد على تحليلات سليمة لمطابقة الإستراتيجيات المناسبة على مختلف مراحل النزاع، ومثال ذلك أنه في البدء استُخدمت الاعتصامات الاختبارية التي كانت تتحرك ذهابًا وإيابًا بين المواجهة ومراحل الدراسة، في حين تصاعدت الاعتصامات اللاحقة بالتدريج وبطريقة منظمة، إضافة إلى ذلك كان رفض التعاون ورفض دفع الكفالة، وتصاعد المقاطعة الاقتصادية لوسط المدينة بعد فشل المفاوضات، واستخدام مسيرة صامتة إلى دار البلدية ردًّا على نسف منزل المحامي لوبي، كانت كلها أساليب مناسبة وفاعلة لكل مرحلة من مراحل النزاع والحملة، وإن التصعيد التدريجي للحملة، وتوسيع التباين في الإستراتيجيات في المجالات كافة، مكَّن المشاركين من إشراك دوائر أوسع من المجتمع المحلي في ناشفيل، لتظهر القوة المضاعفة لمناهج اللاعنف وفائدتها في حملات العدالة الاجتماعية.

بينت قضية ناشفيل أيضًا أهمية التعليم والإعداد من خلال التدريب، حيث فهم الناشطون إستراتيجيات الصراعات الاجتماعية، وصار في مقدورهم الحفاظ على انضباط اللاعنف، كلاهما مهم من أجل الاستفادة من التناقض الظاهري للقمع وإصلاح عدم التوازن

التقليدي في القوى بين المعترضين والسلطات، كما تُبيِّن هذه القضية أيضًا أن النزاعات الاجتماعية التي تُشَنُّ من دون عنف لا تميل إلى الانطلاق في خط مستقيم من إحدى مراحل النزاع إلى المرحلة التالية، لذا استخدمنا نظرية كيرلي لتشمل وتحدد الحلقات الراجعة التي كثيرًا ما تحدث في الحملات، مثل الرجوع من مفاوضات فاشلة إلى المواجهة اللاعنيفة، ومن المواجهة إلى التعليم ثم العودة مجدَّدًا.[3]

تُبيِّن قضية ناشفيل الإسهام القيِّم - بوجه خاص- الذي تقدمه أعمال اللاعنف إلى حملات الحقوق المدنية والعدالة الاجتماعية، ولا تتضمن مناهج اللاعنف في شَنِّ النضال الاجتماعي تجسيد المرء لخصومه والتفكير فيهم وكأنهم الأعداء الذين تجب هزيمتهم ثم رفضهم، حيث إن القيام بذلك قد يزرع بذور الانتكاسات والنزاعات المستقبلية، واللاعنف ملائم بوجه خاص لحملات المطالبة بالتغيير، مثل صراعات الحقوق المدنية، حيث إن الهدف هو - على الدوام- تحسين المجتمع، وجعله مكانًا أكثر عدالة للجميع، وخصوم المرء في صراع ما قد يكونون حلفاءه في صراع آخر، بشرط ألا تُحرَق جسور التواصل، تلك دروس يمكن تكييفها وتطبيقها في حملات أعمال اللاعنف التي تُشَنُّ الآن وفي المستقبل على تشكيلة واسعة من الحالات.

أسئلة للمناقشة

1. من وجهة نظرك، ما العوامل الرئيسة في نجاح قضية ناشفيل؟
   ولماذا كانت تلك العوامل حاسمة؟
2. ما العلاقة بين المرحلة في النزاع الاجتماعي وإستراتيجيات اللاعنف التي يختار المشاركون في حملة ما استخدامها؟ أَعْطِ أمثلة من حالة ناشفيل.
3. كيف يمكن لنموذج أعمدة الدعم أن يكون مفيدًا في التخطيط لحملة (لا عنف)؟
4. ما التأثير الذي أحدثته حركة اعتصامات ناشفيل في حركة الحقوق المدنية الأمريكية الأوسع؟

اقتراحات لمزيد من القراءة والبحث

- كيرلي، آدم (1971) Curle, Adam (1971)، صنع السلام، لندن: تافيستوك.
- هالبرستام، دافيد (1998) Halberstam, David (1998)، الأطفال. نيويورك: راندوم هاوس Random House.